

رأى في ترتيب المعجم

العربي الحديث

كتب هذا المال أديب العراق وفتيد العالم العربي المنفور له الأستاذ طه الراوي وأراد أن يخص به مجلة «الكاتب المصري» المجتهد للنية عن إرساله إلينا. وتفضل ابنه الأستاذ هانم الراوي فأرسله إلينا بعد وفاة والده الكريم، فكان وصوته إلينا مجدداً للأسي في نفوس لم تمر بعد وهبات أن يدركها العزاء .
ونحن نشكر هذا المال راجين لتفريد العظيم رحمة واسعة ولاسرتة ووطنه العربي وأمة العربية صبراً جميلاً .

لما شعر علماء العربية الأولون بديب اللحن في اللغة المضربة المعربة ، بسلب اختلاط بنيتها بحمراء الأمم وصفرائها ، فزعوا إلى جمعها وتدوينها وضبط مشكلها وإيضاح مبهمها ، وسلكوا إلى ذلك طريقين :

الأول - يبتدىء باللفظ وينتهي بالمعنى .

الثاني - يبتدىء بالمعنى وينتهي باللفظ .

مثال الأول قولهم : القطار عدد من الآلات مقطورة على نسق واحد .
والقطر (بكسر القاف) النحاس ، والقطر (بضم القاف) الجهة والناحية ، والقطر (بفتح القاف) المطر .
ومثال الثاني قولهم : ولد الخنزير يسمى الخوار ، وولد الفرس يسمى القلوص .
وشمر النخلة عندما يصفر أو يجمر يسمى البسر ، فإذا نضج فهو الرطب ، فإذا تم جفافه فهو التمر . . . الخ .
والطريق الأول يسهل على القارى فهم ما أمام نظره وعلى سماعه من الألفاظ المبهمة ؛ فان من قرأ أو سمع كلاماً مشتتاً على ألفاظ استبهم عليه معناها رجع إلى معجم مؤلف على هذه الطريقة .

والطريق الثاني يسهل على الكاتب وغيره معرفة الألفاظ الدالة على الأشياء التي تقع تحت نظره والمعاني التي تمر بذهنه ولا يحضره اللفظ الدال عليها . فإذا رأى الإنسان شيئاً أو تصور معنى ولم يعرف اللفظ الدال عليهما فإنه يرجع إلى الكتاب المؤلف على هذه الطريقة . ومن ثم نجد أكثر الناس انتفاعاً بهذه الكتب أو كتب الذين يعنون بالترجمة إلى العربية والتأليف في العلوم العصرية ؛ لأنهم يجدون أمامهم من المعاني ما تحتاج إلى قوالب من الألفاظ لا تحضرهم ، فيرجعون إلى هذه الكتب ليهتدوا بها إلى بغيتهم . وقد رأينا أن نسمى الطريق الأول « بالطريق اللفظي » لأن البدء فيه يكون بجانب اللفظ ومنه ينتقل إلى جهة المعنى ، والطريق الثاني « بالطريق المعنوي » لأن البدء فيه يكون بجانب المعنى ومنه ينتقل إلى جهة اللفظ .

ولكل من الطريقتين فروع ليس هذا موضع الاقضية في استحصائها . وكل ما نريد أن نذكره هنا أن الطريق المعنوي هو الطريق الذي مشى عليه رجال الصدر الأول من قلة اللغة ، فألفوا في ضروب من المعاني مثل خلق الإنسان وخلق الفرس والأنواء والنبات والنخل والكرم إلى غير ذلك من الأنواع . أما التأليف على الطريقة اللفظية فقد كان متأخراً في الزمان عن التأليف في الطريقة المعنوية . ويعتبر الخليل ابن أحمد الفراهيدي بن بيجة هذا الطريق حين وضع كتاب « العين » أو وضع خطوطه الأساسية على بعض الأقوال ؛ فقد وجه همه إلى ضبط اللغة وإحصاء كلها والتمييز بين المهمل والمستعمل من الألفاظ ، وتبعه أبو بكر بن دريد في جمهرته ، ولكنه لم يتقيد بما تقيد به الخليل من الشروط الدقيقة والقيود الوثيقة معتذراً بقصور هم أهل زمانه وضعف عزائمهم وعدم صبرهم على المجاهدة والمجادلة . وقد حذا حذو هذين الامامين إمام ثالث هو أبو غالب تمام بن غالب المعروف بابن التبان القرطبي المتوفى سنة ٤٣٣ هـ فإنه وضع كتاباً أتى فيه على ما في كتاب العين من صحيح اللغة وزاد عليه ما زاده ابن دريد في الجمهرة وسماه « فتح العين » . وآخر من سلك هذا المسلك في التأليف - على ما نظن - أبو الحسن علي بن إسماعيل المعروف بابن سيده المتوفى سنة ٤٥٨ هـ فإنه ألف كتابه « المحكم والمحيط الأعظم » . ومن أصحاب الطريق اللفظي من سلك في تأليفه مسلكاً آخر غير مسلك الخليل ومن تبعه ، فرتب الألفاظ معتبراً أو آخر حر وفيها الأصلية أبواباً وأوائلها فصولاً ، ومن أشهر سالكى

هذا المذهب الجوهري فى كتابه «صحاح اللغة»، وتبعه مجد الدين الشيرازى فى قاموسه، وتبعهما خلق كثير. ومن أصحاب الطريق اللفظى من تنكب هذين المسلكين وسلك مسلكاً ثالثاً هو أوضح معالم من سابقه، فنوب معجمه على ترتيب حروف الهجاء، واعتبر أصول أوائل الكلم أوبأباً وما يليها من الحروف الأصلية ثم ما يثلمها فصولاً، فتجد كلمة «أسد» مثلاً قبل كلمة «أسر»، وهذه قبل كلمة «أسف»، وهذه كلها قبل كلمة «أشر». وأول من سلك هذا المسلك فى الترتيب — على ما أظن — أبو الحسين أحمد بن فارس المتوفى سنة ٥٣٩ هـ فى كتابه «المجمل فى اللغة»، وتبعه الزمخشري فى كتابه «أساس البلاغة»، وجاء بعده تلميذه ناصر بن عبد السيد المظري المتوفى سنة ٥٦١ هـ فألف كتابه «المغرب فى لغة الفقهيات»، وسلك فى ترتيبه مسلك شيخه فى أساس البلاغة. ومن سلك هذا المسلك أحمد بن محمد المقرئ الفيومى المتوفى سنة ٥٧٧ هـ فى كتابه «المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير». وكذلك سلك هذا المسلك من مؤلفى المعاجم الخاصة أبو السعادات ابن الأثير فى كتابه «النهاية فى غريب الحديث والأثر». وكذلك فعل الراغب الأصفهاني فى مفرداته. وأتباع هذا المسلك كثيرون فى المعاجم العامة والخاصة، منهم المؤلفون من المعاصرين. والمؤلفون على هذا النمط يعتبرون من الكلمة حروفها الأصلية، فيضعون كلمة اتصل — مثلاً — فى باب الواو لأنها من مادة (و ص ل) ومثلها اتاد واتسع واتكأ واتسق واتهم واتكل لأنها من (و أ د) و (و س ع) و (و ك أ) و (و س ق) و (و ه م) و (و ل ل) . ويضعون كلمة تترى — مثلاً — فى هذا الباب لأن سادتها (و ت ر) . وفى هذا ما فيه من العسر على الذين لا علم لهم بمبادئ اللغة وأصول تصريفها .

ولهذا رأى بعضهم أن توضع المعاجم على أسلوب تكون العبرة فيه بحروف الكلمة كلها سواء فى ذلك الأصلية والزائدة، فتوضع كلمة (تترى) مثلاً فى باب التاء والتاء وما يثلمها، وكلمة (اتقى) فى باب الهمزة والتاء وما يثلمها، وهكذا كما فعل واضعو معاجم البلدان؛ فانك إذا راجعت معجم ياقوت فى كلمة (أسورة) مثلاً تجدها فى باب الهمزة والسين وما يليها، وإذا طلبت هذه الكلمة فى الصحاح وجدتها فى فصل السين من باب الراء، وإذا طلبتها فى المصباح وجدتها فى باب السين والواو وما يثلمها. قالوا: وفى هذا عنت ليس بالهين.

وقد سنك واضعوا معاجم الأسماء والطبقات مسلوك واضعوا معاجم البلدان؛ فانك تجد فيها اسم (المعلی) مثلاً في باب الميم والعين وما يليهما، ولو طلبت هذه اللفظة في القاموس لوجدتها في فصل العين من باب الواو والياء، وإذا طلبتها في الصباح وجدتها في باب العين واللام وما يثلثهما. قالوا: فلماذا لا يسلك اللغويون في معاجمهم هذا المسلك على ما فيه من تسهيل المراجعة ولا سيما على أولئك الذين يتعسر عليهم تمييز أصول الكلمات من زوائدها؟

ونحن نرى أن هذا الرأي على ما فيه من ظاهر جذاب، غير سديد؛ لأننا لو سلطنا في وضع معاجم اللغة هذا المسلك لجاءت ضخمة جداً كثيرة التكرار مضطربة الترتيب والتبويب؛ وذلك لما في لغتنا العزيزة من الوفرة في المشتقات والتنوع في المصادر والجموع؛ فإذا أردنا أن نأخذ مثلاً على ذلك ما اشتق من مادة (خرج) وما يتصل بها كان علينا أن نثبت كل واحدة من الكلمات الآتية في موضع يختلف عن موضع أخواتها: (خرج، يخرج، خرجاً، مخرجاً، مخارج، خارج، خراج، خوارج، أخرج، إخراج، استخرج، يستخرج، استخراج، المستخرج، أخارج... الخ). وكل كلمة تذكر في موضع تحتاج إلى تفسير قائم بنفسه، وفي هذا ما فيه من التطويل الذي لا طائل تحته؛ وكذلك القول في المصادر، فرب فعل له أكثر من مصدر واحد، مثل (كتب، ومصادره كتباً وكتاباً وكتاية وكتيبة) فإذا أخذنا بهذا الترتيب المقترح وجب علينا أن نفرق هذه المصادر في مواضع شتى مع أنها في الترتيب التقليدي تجمع في موضع واحد. وكذلك القول في الجموع، فرب كلمة لها عدة جموع مثل (كاتب فانك تجمعه على كتبه وكتاب وكتابين)، فإذا نحن مشيناً على الترتيب المقترح وجب علينا أن نفرق بين هذه الجموع في مواضع مختلفة مع أن جمعها في موضع واحد ألصق بحاجة المراجعين من تفريقها على مواضع شتى وتفسيرها في كل موضع. ولنضرب للقارىء مثلاً واضحاً في هذا الباب؛ فانك إذا راجعت كلمة (أكمة) مثلاً في الصباح المنير وجدتها في فصل الهمزة والكاف وما يثلثها على هذا الوجه: «الأكمة تل وقيل شرفة كالرايية، وهو ما اجتمع من الحجارة في مكان واحد، وربما غلظ، وربما لم يغلظ، والجمع أكم وأكمت مثل قصبه وقصب وقصبات، وجمع الأكم إكام مثل جبل وجبال، وجمع الإكام أكم بضمين مثل: كتاب وكتب، وجمع الأكم آكام مثل عنق

وأعناق . . . » هذه هى طريقة المعاجم التقليدية ، وإذا أردنا أن نتبع منهج المعجم المقترح وجب علينا أن نفرق هذه الجموع الخمسة فى خمسة مواضع ، وأن نذكر فى كل موضع شرحاً على نمط الشرح الذى جاء فى عبارة الصباح فى كلمة (أكمة) ، فنقول مثلاً فى كلمة (أكام) : «إنها جمع أكم التى هى جمع الأكام التى هى جمع الأكم التى هى جمع الأكمة وهى تل وقيل شرفة كالراية وهو ما اجتمع من الحجارة فى مكان واحد ، وربما غلظ وربما لم يغلظ » ، وهكذا يلزمنا فى كل جمع أن نرجع به إلى مفرده ثم نشرح معنى ذلك المفرد ، وفى هذا ما فيه من إسراف فى الجهد يمكن الاستغناء عنه بالطريقة المألوفة المبنية على الاقتصاد فى كل شئ . أما القول بأن الكثيرين من الذين يحتاجون إلى مراجعة المعاجم لا يهتمون إلى أصل الكلمة فهو من المغالاة بكان ؛ لأن الذى لا يميز بين الأصول والزيادات ولو على سبيل الاجمال لا يحتاج إلى مراجعة المعاجم ، فالمعاجم إنما توضع لأولئك الذين يملكون حظاً ولو قليلاً من التفريق بين الأصول والزوائد ؛ أما الكلمات التى يتعسر على جمهرة المتعلمين معرفة أصولها فلا مانع أن تذكر فى موضع يسهل على المراجع العثور عليها ثم يشار إلى موضعها الأسمى ، فنوضع كلمة (تترى) مثلاً فى موضع تأتى فيه التاء والتاء وما يثلثها ثم يشار إلى مراجعتها فى مادة (وتر) ، وكذلك يفعل فى كلمة (اتصل) من الوصل و (اتعد) من الوعد وهكذا .

والذى نراه أن العربية محتاجة إلى معاجم تؤلف على الطريقة اللفظية على أنماط ثلاثة : مبسوط ووسيط وموجز : الأول للمبتدئين من العلماء ، والثانى لأوساط المتعلمين ، والثالث للمبتدئين منهم . وكذلك هى فى حاجة إلى معاجم على الطريقة المعنوية مبسطة ومتوسطة وموجزة ، ليستعين بها الناقلون عن اللغات الأجنبية والمؤلفون فى العلوم والفنون العصرية . وينبغى أن تبسط العبارة فى كل هذه المعاجم بسطاً يوضح المقصود من كل كلمة ، وأن يستعان على الايضاح بالصور ، فإذا أر يد إيضاح أعضاء الانسان فى المعاجم المعنوية مثلاً يصور الانسان و يشار إلى العضو إشارة تجعله مفهوماً جلياً ، وكذلك إذا أر يد بيان ~~الفرس أو~~ خلق الجمل مثلاً ؛ وهكذا يستعان بتصوير الأشجار والأزهار والبقول وغيرها تصويراً من شأنه أن يعين المراجع إعانة تامة على فهم ما ~~يقرأه~~ لا نحوض فيه ولا غبار عليه .

ولا شك أن هذه الطريقة تستلزم جهوداً متضافرة من جماعات متآزرة .
وأجدر من يعهد إليه بذلك هى الجامع اللغوية التى أنشئت وستنشأ فى الممالك
العربية ؛ وقد بلغنا أن المجمع اللغوى فى الكنانة مضطلع ببعض هذه المهمة . كان
التوفيقى حليفه .

طه الراوى